

جدل القرآن الكريم لأهل الكتاب

دراسة وتحليل

د. خليفة حسين العسال

الاستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين
وبعد:

فإنه لما كان العقل البشري يتطلع دائما إلى قوة الإقناع فقد توصل إلى بغيته عن طريق الحجة والبرهان والعلم، والقرآن الكريم معجزة خالدة لنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم يحاج العقل البشري في أرقى ما وصل إليه من العلم ويتحداه إلى الأبد، وما أن دعا البشر إلى عقيدة التوحيد حتى وقف الناس منه مواقف متباينة فكان يسلك معهم مسالك التوجيه والإرشاد ويعامل خصومه بما يتناسب وأحوالهم العلمية والاعتقادية ولذا فيجادل كلا من المشركين والمنافقين وأهل الكتاب بما يناسبهم.

حيث يجادل المشركين جدل هداية ودلالة، ويكون جدله شديدا وقاسيا بل مصحوبا بالتهديد والوعيد عند مجادلته للمنافقين. بينما يجادل أهل الكتاب جدل تخطيطية وإلزام لأنهم على علم وبيئة. والجدل ظاهرة إنسانية بل عالمية لوجودها في الأجناس البشرية وغيرها كالملائكة وإبليس.

وقد خلق الله الإنسان ناطقا مفكرا يتوارد عليه من الخواطر والمعلومات ما يجعله مدفوعا بالضرورة إلى الإفضاء بها والإفصاح عنها، وقد تشتد وتبرز أشد البروز في مواقف الحجاج والنقاش وتبادل الأفكار واحتكاك بعضها ببعض، موافقة أو مخالفة أو برهنة أو معارضة أو تعليما أو تعلما إلى غير ذلك مما هو مرتكز في الفطرة الإنسانية، وما تستدعيه طبيعة النوع البشري من التعرف والتفاوت إدراكا وعلمًا.

فالجدل لا يمكن أن يخلو منه بشر عنده بيان يعبر به عما يختلج في نفسه من مقاصد وأغراض بصرف النظر عن كيفية هذا البيان ونوعيته. والنفس البشرية مجبولة عن الدفاع عنها وتقرير مطالبها وإيضاح مقاصدها.

وهذه النزعة البائية تتفاعل مع بعضها ومع العقول المتفاوتة والآراء المتباينة والمشارب المختلفة مما يكون له أثره الفعال فيما يجري بين الناس من مجادلات ومناظرات.

فالجدل يرجع بمعناه العام إلى نزعة البيان والإفصاح المودوعة فطريا في الإنسان وهو إما لإظهار مبدأ أو تصحيح خطأ أو توجيه مفهوم أو غير ذلك . مما جبلت عليه النفوس البشرية . فالجدل يمثل نزعة إنسانية لأنه طبيعة وجبلة في الفطرة الإنسانية قال تعالى (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَشَيْءٍ جَدَلًا) ^(١).

وجدل القرآن الكريم موضوع حيوي شيق محبب للنفس والعقل معا لما يأتي :

(أ) يجول فيه الفكر ويتلذذ بما يراه من مبادئ عقائدية وحجج منطقية وبراهين عقلية وحسية .

(ب) تجل فيه النفس متعة وجدانية غامرة .

(ج) كما أنه سجل يروى لنا نماذج من جدل الأمم الغابرة منذ أن وجد الإنسان على هذه البسيطة بل ومن قبل وجوده كما في جدل الملائكة حول وجود آدم المستخلف من الله تعالى في الأرض وجدال إبليس ^(٢).

(د) يصور مواقف الصراع بين الحق والباطل فيعيش معه القارئ في متعة وجدانية تنعكس عليه بالعظة والاعتبار .

وأسلوب القرآن في الجدل أفضل الأساليب وأنجحها لأنه يستخدم الأسلوب المناسب لكل مقام وهذه هي المحاجة المحكمة ، وكلما كانت أشد إحكاما كانت آثارها أجدى وأنجح وأشد تأثيرا ^(٣).

ذلك لأن القرآن الكريم يصارع الباطل بالحجة والبرهان حيث يدفعه بالحجة فإذا هو زاهق فتنجلي النتائج بنصرة الحق على الباطل واستعلائه عليه قال تعالى (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) ^(٤).

فالجدل القرآني يستخدم البراهين العقلية والحجج المنطقية في معالجة الأمور الاعتقادية ويصور المواقف الحية المثالية في جانب الحق . وبهذا يختلف القرآن مع

(١) الكهف - ٥٤

(٢) كما في الآيات ٣٠ - ٣٤ من سورة البقرة

(٣) انظر : د . زاهر الألمي : مناهج الجدل في القرآن الكريم ص ٣٤ - ٤٣ بتصرف

(٤) الأنبياء - ١٨

الأناجيل التي تقول للإنسان (أطفئ مصباح عقلك واعتقد وأنت أعمى ولا تستدل)^(٥).

فالقرآن الكريم كرم العقل ورفع من شأنه وحذر من إهماله وأشاد في آيات كثيرة بالحجة والبرهان، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمجادلة الكافرين وأهل الكتاب كما أمر بدعوتهم إلى الإيمان قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ)^(٦). وقال تعالى: (وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)^(٧).

والقرآن لا يأتي بالجدل إلا عند معارضة خصومه له وتوارد الشبه فيلجم القرآن خصومتهم بالجدل المحكم والاستدلال الملزم بأسلوب رائع مفحم وهذا هو المنهج العام لأدلة القرآن. وما ورد بخلاف هذا من الأدلة فهو لحكمة تقتضيها أسرار التنزيل القرآني.

وقد اقتصر علماء السلف في الجدل على ماتدعو إليه الحاجة مع فهمهم للنصوص وأبعاد المخاطبات القرآنية إضافة إلى تخرجهم وورعهم أمام النصوص التي تدم الجدل كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ) « مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَبِيثُونَ »^(٨) وقد عنى العلماء المسلمون بالجدل عناية شديدة من بعد أن نشب الخلاف الفكري بين علماء الأمة وانتهت عنايتهم بوضع قواعد لتنظيم الجدل والمناظرة أسموها علم الجدل أو علم أدب البحث والمناظرة. وقيل أول من كتب فيه كتباً أو رسائل مستقلة البزدوي المتوفي سنة ٤٩٣ هـ والعميدي المتوفي سنة ٦١٥ هـ ثم كثر التأليف فيه من بعدهما^(٩).

(٥) نقلاً عن د. زاهر الألمي: مناهج الجدل في القرآن الكريم ص ١٥.

(٦) النحل - ١٢٥.

(٧) العنكبوت - ٤٦.

(٨) رواه الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه وقال حسن صحيح انظر سنن الترمذي ج ٩ ص ٦ - ٣٢٥٠ كتاب التفسير ٤٨ - ط أولى حمص بسوريا سنة ١٩٦٨ م، ورواه ابن ماجه في سننه عن أبي أمامة أيضاً ج ١ ص ١٩ من المقدمة - ٤٨ باب اجتناب البدع والجدل، والمسند ج ٥ ص ٢٥٢ و ٢٥٦.

(٩) انظر: الشيخ محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل ص ٦ - ویدلنا النظر في كتب التراجم والكتب التي عنيت بالتأريخ للعلوم على انه قد وجدت كتب في الجدل قبل البزدوي، ومن هذه الكتب ما نسب إلى أبي علي الطبري (ت ٣٠٥ هـ) ولأبي القاسم الكمي البلخي (ت ٣١٩ هـ) ولأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) على الأرجح) ومنها ما نسب إلى أبي منصور الماتريدي (ت ٣٣٣ هـ) على الأرجح) وإلى الفقال الشاشي (ت ٣٣٦ هـ) وكل هؤلاء كانوا قبل البزدوي.

التعريف بالجدل:

الجدل: لغة: هو اللدد في الخصومة. والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالا. ورجل جدل ومجدل ومجدال: شديد الجدل، يقال جادلت الرجل فجدلته جدلا: أي غلبته ورجل جدل اذا كان أقوى في الخصام، وجادله أي خاصمه، مجادلة وجدالا، والإسم (الجدل) وهو شدة الخصومة^(١٠) وهو مأخوذ من الجدل وهو شدة الفتل ومنه قيل لزمام الناقة جديل. يقال جدل الحبل يجذله جدلا أحكم فتله.

والجدل معناه الصرع على الجدالة وهي الأرض سميت بذلك لشدتها. يقال جدله جدلا، وجدله فانجدل وتجدل: صرعه على الجدالة^(١١).

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم (أنا خاتم النبيين في أم الكتاب وإن آدم لمنجدل في طيته)^(١٢) أي ملقى على الجدالة وهي الأرض^(١٣).

وخلاصة المعنى اللغوي للجدل أنه اللدد في الخصومة والقدرة عليها وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام. كما ذكره ابن فارس حيث قال: (الجيم واللام والdal أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه. وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام^(١٤)).

والجدل اصطلاحاً: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم، أما المجادلة فهي مخالفة تبغى إلزام الخصم بطريق مقبول محمود بين الجمهور^(١٥). وقال ابن منظور بعد أن ذكر المعنى اللغوي للجدل (ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها)^(١٦) وقال الجرجاني: (الجدل عبارة عن مرء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها)^(١٧) وقال أبو البقاء: (الجدل هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن

(١٠) انظر: ابن منظور لسان العرب ج ١١ ص ١٠٥.

(١١) انظر: المرجع السابق ج ١١ ص ١٠٣، الزمخشري أساس البلاغة ص ١١١.

(١٢) رواه الإمام أحمد ج ٤ ص ١٢٧.

(١٣) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ص ١ ص ٤٣٣.

(١٤) ابن فارس معجم مقاييس اللغة ج ١ ص ٤٣٣.

(١٥) ابن سينا: الشفاء: كتاب الجدل ج ١ ص ٢٣.

(١٦) المصباح المنير ص ١٢٨.

(١٧) التعريفات: ص ٦٦.

فساد قوله بحجة أو شبهة وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره^(١٨) وعرفه الجويني بأنه (إظهار المتنازعين بمقتضى نظرتهم على التدافع والتنافي بالعبرة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة)^(١٩). ومهما يكن من هذه المعاني في الجدل والجدال فإنه الخصومة والمنازعة في البيان والكلام لإلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم. وإذا كان القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية وهو المعجزة الخالدة الموجهة للأفكار والمبادئ والآراء والمعتقدات القائمة على الحجج والبراهين، فلا غرابة أن نرى وفرة هذه الأساليب الجدلية في كتاب الله ناطقة بالحجج الصحيحة والبراهين الواضحة التي ساقها الله تبارك وتعالى من خلاله لهداية الكافرين وإلزام المعاندين في جميع ما قصد إليه من تبيان الحقائق وترسيخها في أذهان الناس.

وهناك ألفاظ مرادفة للجدل شاعت بين الناس وهي وإن لم تكن واحدة في المفهوم نهاية أمرها بعضها من بعض كالمناظرة والمحاورة والمناقشة والمباحثة لأنها ترجع في النهاية أثرها إلى طريقة البيان والتبيين التي جبل عليها الإنسان وأودعها الله فيه وإن كان هناك فروق بينها وبينها قواعدها الجدل وأدب البحث والمناظرة حيث يرى بعض العلماء أن الجدل يراد منه إلزام الخصم ومغالbته.

أما المناظرة فهي تردد الكلام بين شخصين كل واحد منهما يقصد تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه مع الرغبة في ظهور الحق.

والمحاورة هي المراجعة في الكلام ومنه التحاور أي التجاوب وهي ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه^(٢٠). ومادة الجدل في القرآن تدور حول المدافعة بالقول من أجل الدفاع عن العقيدة والشرعة والأخلاق إن كانت من قبل الله، أو من أجل الباطل إن كانت من المكابرين وكل آية تحدد اتجاه جدلها.

أوجه الجدل في القرآن الكريم

ورد الجدل القرآني على ثلاثة أوجه:

١ - مارد به على الخصوم من الحجج والبراهين وما ساقه من الأدلة لتثبيت العقائد

(١٨) الكليات - ص ١٤٥.

(١٩) الكافية في الجدل ص ٢٠ - ٢١ تحقيق د. فوقية حسين محمود.

(٢٠) انظر: مناهج الجدل ص ٢٥ مرجع سابق بتصرف.

وتقرير قواعد الملة مما جاء على السنة رسله وأنبيائه وما ألهم الله به عباده الصالحين من قول الحق ودفع الباطل وهو أمر ضروري لتبليغ رسالة الله إلى أهل الأرض، ودفع ما يقابلها من شبهات وإزالة ما يقف في طريقها من عقبات، وكشف ما يحاك ضدها من مؤامرات وما يدبر لها من كيد وضلال، وهذا النوع من الجدل القرآني وإن كان فيه معنى الإلزام والإفحام إلا أنه مشتمل على التوجيه والإرشاد إلى طريق الحق والدعوة إلى مقارعة الباطل بالحجة والبرهان قال تعالى: (أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالْقِيِّ هِيَ أَحْسَنُ^(٢١)) وفي هذه الآية دعوة صريحة إلى الجدل وبيان طرقه وآدابه. ويرى كثير من علماء الكلام^(٢٢) أن الطرق الثلاثة المذكورة في الآية السابقة موافقة للأصول المنطقية وهي البرهان، والخطابة، والجدل. ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية لا يرضي هذا الرأي ويرى أن الوعظ في القرآن هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما جاء في قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْثًا)^(٢٣) وقوله تعالى: (يَعْظُمُ اللَّهُ أَن تَعُوذُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ)^(٢٤) وهو بهذا يرى أن الدعوة تكون بالحكمة والموعظة الحسنة وأما الجدل فلا يدعى به وإنما يكون من باب دفع الصائل ولهذا يقول رحمه الله: (إن للإنسان ثلاثة أحوال إما أن يعرف الحق ويعمل به، وإما أن يعرفه ولا يعمل به وإما أن يجحده، فأفضلها أن يعرف الحق ويعمل به، والثاني أن يعرفه لكن نفسه تخالفه فلا توافقه على العمل به والثالث أن لا يعرفه بل يعارضه فصاحب الحال الأول يدعي بالحكمة والثاني يدعي بالموعظة الحسنة وأما الجدل فلا يدعي به بل هو من باب دفع الصائل فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن ولهذا ورد التعبير القرآني بصيغة الأمر (وجادلهم) فجعله فعلا مأمورا به مع قوله تعالى (أدع) فأمره بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وأمره أن يجادل بالتي

(٢١) النحل/ ١٢٥.

(٢٢) منهم أبو الحسن الأشعري الذي لا يتردد في تسمية الجدل بهذا المعنى (أدبا) أدب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم لأنه منهج قرآني بكل ما تحتمله هذه التسمية من معنى - أنظر د/ أحمد الطيب: أسس الجدل عند الأشعري: ص ١٥.

(٢٣) النساء/ ٦٦.

(٢٤) النور/ ١٧.

هي أحسن كما هو الحال مع أهل الكتاب في قوله تعالى (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ^(٢٥)) وسياق الآية يبين أن المجادلة لأهل الكتاب بالرفق واللين والإنصاف وترك التعسف والاستطالة إلا لمن بدأ منهم بشيء من ذلك فإنه يعارض بما يفحمه، ويلجم خصومته، وإتاحة لفرصة الفهم والتعلم^(٢٦).

ووافقه على رأيه كثير من الأئمة المتأخرين كالإمام الرازي وغيره^(٢٧) ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمانع من الجدل إذا كان لطلب الحق والاسترشاد وتقرير القضايا المتعلقة بأمور الدين والدنيا كما هو الحال في شأن جدال سعد بن معاذ وسعد بن عباد للرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب^(٢٨) وكما حدث من عمر بن الخطاب في صلح الحديبية^(٢٩) وفي مجادلته لليهود^(٣٠) ولم ينكر عليهم صلى الله عليه وسلم هذه المجادلة مادام المقصد منها حسناً لا يختفي وراءها باطل بالكفر أو العناد ولذا يقول ابن تيمية (فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى للإسلام حقه ولا وفي بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور، وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين^(٣١)).

٢- ماورد بطريق الحوار والقصد منه الاسترشاد وحب الاستطلاع والنظر للعظة والاعتبار ومن هذا القبيل جدل الملائكة^(٣٢) وجدل ابراهيم عليه السلام مع

(٢٥) العنكبوت/٤٦.

(٢٦) ابن تيمية الرد على المنطقين ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ ط . بومباي بالهند سنة ١٩٤٩ نقلا عن مناهج الجدل في القرآن الكريم ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢٧) انظر : الفخر الرازي : مفاتيح الغيب : ج ٢٠ ص ١٤٠

(٢٨) انظر ابن كثير : السيرة النبوية : ج ٣ - ٢٠١ ، ٢٠٢

(٢٩) انظر المرجع السابق ج ٣ ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٣٠) انظر الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن : ج ٢ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، والسيوطي :

الدر المنثور ص ٩٠ ، ٩١ . ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٣١) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ج ١ ص ٣٥٧ .

(٣٢) البقرة/٢٠ - ٢٣ .

ربه^(٣٣) وجدل خولة بنت ثعلبة الخزرجية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ذهبت إليه تستفتيه وتراجعه في الفتوى لعله يجد لها مخرجاً . . . الخ فأنزل الله في شأنها (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا)^(٣٤) .
فهذا الجدل من قبيل الاسترشاد ومعرفة الحكمة فيما لم تظهر فيه الحكمة بعد وليس هذا من قبيل اعتراضهم على حكم الله وتدييره .

٣ - ما يأتي على ألسنة الكفار من الاعتراضات والشبه والدعاوي الباطلة التي حكاها القرآن الكريم وبين بطلانها وما تنطوي عليه وهذا يدخل تحت عنوان الجدل بالباطل كما قال تعالى (وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ)^(٣٥) وقال (وَجَادِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ)^(٣٦) وفي هذا تنصيب على ذم الجدل بالباطل (وهو كل جدال ظاهر الباطل أو أفضى إليه) قال الرازي (واعلم أن لفظ الجدل في الشيء مشعر بالجدال بالباطل ولفظ الجدل عن الشيء مشعر بالجدال لأجل تقريره والذب عنه) ثم قال : (والجدال في آيات الله هو أن يقال مرة إنه سحر ومرة إنه شعر ومرة إنه قول الكهنة ومرة إنه أساطير الأولين ومرة إنه يعلمه بشر وأشبه هذا مما كانوا يقولونه من الشبهات الباطلة فذكر تعالى إنه لا يفعل هذا إلا الذين كفروا وأعرضوا عن الحق^(٣٧)) ومن الأدلة على ذم الجدل بالباطل قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ)^(٣٨) ومن الآيات السابقة يتبين أن الجدل المذموم قسمان :

أ - جدال بغير علم : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ)

ب - جدال لنصرة الباطل بالشغب والتمويه بعد ظهور الحق (وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) والجدال بالباطل هدم لكيان المجتمع الإنساني فكم جر من

(٣٣) البقرة / ٢٦٠ .

(٣٤) سورة المجادلة آية / ١ .

(٣٥) غافر / ٥ .

(٣٦) الكهف / ٥٦ .

(٣٧) انظر : الفخر الرازي : مفاتيح الغيب : ج ٢٧ ص ٢٩ .

(٣٨) الحج / ٣ .

الويلات والحزازات بين الأفراد والجماعات وكم من صراع فكري جدلي تحول إلى صراع دموي نتيجة الخوض في الباطل وعدم الإصغاء إلى برهان الحق ومنطق البيان وبهذا نخلص إلى ما يأتي :

١ - أن الجدل في القرآن جدلان : جدل مدح وجدل مذموم . وفيصل التفرقة بينهما هو معرفة الحق والباطل أو تبين الخطأ والصواب سواء كان ذلك بهدف اعتناق الحق أو اجتناب الباطل وكل جدل بعد ذلك ساقط الفائدة بل هو مذموم ومنهي عنه ولهذا فسر العلماء^(٣٩) معنى (الحسن) المقترن في بعض الآيات القرآنية بلفظ الجدل - أو ما اشتق منه بأحد أمرين :

الأول : الاسترشاد وطلب معرفة الحق وهو ما يدخل تحت الأمر بالمعروف .
الثاني : قطع العذر على المعاندين وإقامة الحجة عليهم ببيان زيفهم وإفساد براهينهم وهو مما يدخل تحت النهي عن المنكر وقد ورد الجدل الحسن في القرآن الكريم في آيتين اثنتين^(٤٠) : وما عدا ذلك فقد ذكر الجدل في أغلبها في معرض الذم والقدح .

٢ - إن الحكم على الجدل بالتحريم أو بغيره يتعلق بالغاية منه فحيث وجد الجدال بالباطل كان محرماً وحيث وجد الحق كان مباحاً أو واجباً وذلك على حسب المقامات التي تقتضيها بواعث الجدل .

٣ - إنه لا تعارض بين النصوص الواردة في النهي عن الجدل والنصوص الواردة في الأمر به لأننا نعلم يقيناً أن الجدل الذي أمر الله به غير الجدل الذي نهى عنه فتحمل نصوص النهي على الجدال بالباطل ونصوص الأمر به على الجدال بالحق فيندفع الإشكال الذي قد يعرض لعامة الناس وهذا هو المنهج الصحيح الذي يؤيده العقل والنقل .

أهمية الجدل ومكانته:

تظهر أهمية الجدل مما يأتي :

١ - أمر الله تعالى باستخدامه في قوله تعالى : (وَجَدِلْ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ^(٤١)) وقال

(٣٩) انظر : نفس المرجع السابق ج ٢٧ - ص ٢٩ .

(٤٠) آية النحل / ١٢٥ ، وآية العنكبوت / ٤٦ .

(٤١) النحل / ١٢٥ .

(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ^(٤٢)) ومحال أن يأمر الله بغير طريق الصواب أو يجعل رسله يسلكون غيره.

٢ - استخدام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للجدل في دعوتهم قال تعالى: (قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَلَنَا^(٤٣)) وقال: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ^(٤٢)) وقال: (حَتَّى إِذَا جَاءَوكَ يُجَادِلُونَكَ^(٤٥)) وقال (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَ تَهُ الْبَشَرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ^(٤٦)) فكل نبي كان يناقش قومه ويجادلهم ويبين لهم طريق الحق بالأدلة الواضحة البينة.

٣ - (الجدل) أمر فطري جبل عليه الإنسان يصدر من الصالح والطالح والكبير والصغير والرجل والمرأة قال تعالى: (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا^(٤٧)) وقال عن المؤمنين معاتبا (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ^(٤٨)). وقال: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا^(٤٩)) والأمور الفطرية لا بد من ملاحظتها ومراعاتها.

٤ - إهتمام الدعاة به من زمن الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا بوصفه وسيلة لإظهار الحق لأنه أحيانا لا يتضح ولا يظهر إلا بالجدل والمناقشة يقول ابن تيمية عن المجادلة (وقد تكون لمسترشد طالب حق لم يبلغه أو بلغه ولكن عورض ذلك بشبهات فاحتاج إلى جواب تلك المعارضات لأن مجاهدة الكفار باللسان مازالت مشروعة من أول الأمر . الخ^(٥٠)) روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألستكم^(٥١)).

(٤٢) العنكبوت/ ٤٦.

(٤٣) هود/ ٣٢.

(٤٤) البقرة/ ٢٥٨.

(٤٥) الأنعام/ ٢٥.

(٤٦) هود/ ٧٤.

(٤٧) الكهف/ ٥١.

(٤٨) الأنفال/ ٦.

(٤٩) المجادلة/ ١.

(٥٠) ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج١/ ٧٧.

(٥١) أبو داود ج٧/ ص ١٨٢/ ٢٤٨٧ كتاب الجهاد باب كراهية ترك الغزو والنسائي: ج٦ ص ٦ كتاب الجهاد باب

وجوب الجهاد وصححه الألباني.

وبناء على هذه الاهمية للجدل فقد عنى علماء الإسلام بالجدل والمناظرة عناية شديدة وانتهت عنايتهم بوضع قواعد لتنظيم الجدل والمناظرة لكي يكونا في دائرة المنطق والفكر المستقيم أسموها علم الجدل او علم أدب البحث والمناظرة^(٥٢). وقد ألف كثير من علماء الإسلام كتباً في الجدل والمناظرات والرد على أهل الكفر والإلحاد. والمذاهب الهدامة وخصوصاً أهل الكتاب ومن هذه الكتب ماييلي :-

- ١ - الرد على النصارى لعمر بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ.
 - ٢ - الدين والدولة لأبي علي بن زين الطبري المتوفى سنة ٣٠٥هـ.
 - ٣ - بذل المجهود في إفحام اليهود للسمو آل المتوفى سنة ٣٨٠هـ.
 - ٤ - الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦هـ.
 - ٥ - شفاء الغليل للإمام الجويني المتوفى سنة ٤٦٥هـ.
 - ٦ - الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل للإمام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ.
 - ٧ - مقامع الصلبان على هامات عبدة الأوثان لأبي عبيدة الخزرجي المتوفى سنة ٥٨٢هـ.
 - ٨ - الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للإمام القرافي المتوفى سنة ٦٨٤هـ.
 - ٩ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ.
 - ١٠ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ.
- ومما ألف في طرق المناظرة وأدائها:

- أ - آداب البحث والمناظرة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٩٣هـ.
 - ب - ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة للشيخ / عبدالرحمن حبنكه الميداني.
 - ج - رسالة الآداب في البحث والمناظرة لمحمد محي الدين عبد الحميد.
- إلى غير ذلك من الكتب في هذا المجال ومن هنا يتبين مدى أهمية الجدل كأسلوب أمرنا الله تعالى باستخدامه عند الحاجة إليه .

(٥٢) انظر : تاريخ الجدل ص٦ مرجع سابق.

من خصائص الجدل في القرآن

لأسلوب الجدل في القرآن خصائص ومزايا عديدة ذلك لأن القرآن الكريم لا يستخدم من الجدل إلا أحسنه ومن التعبير البياني إلا أعذبه وأوضحه ويمكن تلخيص خصائص الجدل القرآني فيما يأتي^(٥٣).

١ - إن الجدل القرآني يستهدف الحقائق في ذاتها ويقيم عليها البراهين والحجج الدالة على الأمور المعنية كالأمور الغيبية كما هو الحال في قصص الأنبياء والمرسلين كما في قصة نوح وإبراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم

٢ - يسلك القرآن الكريم في مجادلاته سياسة جدلية بيانية يعالج بها أوضاع الخصوم ويناقشهم بما يتناسب مع أحوالهم وطبائعهم النفسية في مقام المجادلة كما حدث عند مناظرة إبراهيم لقومه وإبطال ما هم عليه من عبادة الكواكب^(٥٤) مستخدماً سياسة جدلية تلين عريكتهم وتستجذبهم إلى سماع الحق والتأمل والتفكير فيما يدعوا إليه من توحيد خالص لله ، ومن السياسة الجدلية التي راعت طبائع الناس بجمالة الخصوم وعدم الرد المباشر على دعاويهم مع عدم التسليم بها كقوله تعالى : (وَإِنَّا أَوْأَيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ^(٥٥)) وقوله تعالى : (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ^(٥٦)) وذلك لأن المجاملة أدعى إلى الطاعة وأقوى في التأثير^(٥٧).

٣ - لم يتبع القرآن في جدله طريقة المنطق اليوناني المعقدة في ترتيب المقدمات والنتائج بأشكال منطقية مطولة وإنما جاء القرآن بلسان عربي مبين بعيد عن التعقيدات المنطقية الإصطلاحية متفقاً مع المؤلف من أساليب اللغة العربية الفصحى التي تجمع بين عمق المعنى ودقة التصوير ووضوح التعبير دون إخلال بالصورة البيانية التي تثير الضمير وتوقظ المدارك النفسية وتدفع بالعقول إلى النظر دون ارتباط

(٥٣) انظر : منهج الجدل ص ٤١٥ - ٤٢٣ مرجع سابق بتصرف ، د/ البيانوني : المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٦٧ .

(٥٤) الأنعام / ٧٤ - ٧٨ .

(٥٥) سبأ / ٢٤ .

(٥٦) الزخرف / ٨١ .

(٥٧) د/ أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية ص ٤٠٨ .

بالإصطلاحات الفلسفية المعقدة معتمداً على تنوع الأسلوب وتلوين الخطاب لتتلقاه العقول السليمة متدبرة وتتلقاه القلوب وجلة راجية .

فناه يردف الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد تسكيناً لنفوس المؤمنين ليطمئنوا إلى رضا الله ورحمته ، وإزعاجاً للملاحدة المعاندين ليثوبوا إلى عقوبهم فيطرقوا أبواب النظر اتقاء عذاب الله وسخطه (٥٨) .

٤ - اعتماده على العلم والمعرفة فلا يصح الجدل بغير علم كما أن الدعوة للحق يجب أن تكون بعلم وقد ذم الله من يجادل بغير علم فقال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) (٥٩) كما أنكر عل هؤلاء الذين يجادلون بغير علم فقال : (يَتَأْهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (٦٠) هَتَأْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجَجَتُمْ فِيهِمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيهِمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ (٦١) .

٥ - يجمع الجدل القرآني بين الإنصاف في الدعوة والإلزام في النتيجة كما في قوله تعالى : (وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ . إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُ) (٦٢) كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦١) .

٦ - إن الأصل في الجدل القرآني أن يكون بالتى هى أحسن فإذا استخدم في جداله القسوة وتأنيب الخصم فهذا يرجع إلى أمور ذاتية تتعلق بالخصم المجادل لكونه لم يصغ للحق ولم يستخدم عقله فيما يلقى إليه من بيان معضد بالبراهين ولعل ذلك يفهم من الاستثناء في قوله جل شأنه : (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) (٦٣) حتى يذعنوا للحق ويظهر أمر الله .

٧ - إثارة العقل والوجدان من خلال الجدل لأنه يأتي من الحقيقة البرهانية الصارمة بما يرضى حتى أولئك الفلاسفة المتمعقين . ومن المتعة الوجدانية الطيبة بما يرضى حتى

(٥٨) محمد الصادق عرجون : القرآن العظيم . ص ٢٨٣ - ٢٨٩ بتصرف .

(٥٩) الحج / ٣ .

(٦٠) آل عمران / ٦٥ ، ٦٦ .

(٦١) القصص / ٤٧ - ٤٩ .

(٦٢) العنكبوت / ٤٦ .

هؤلاء الشعراء المرحين والله قادر على أن يخاطب العقل والقلب معاً أو يمزج الحق والجمال معاً، وهذا ما تجده في كتاب الله حيثما توجهت إنه لا ينسى حق العقل من حكمة وعبرة كما لا ينسى حظ القلب من تشويق وتحذير وتنفير وتهويل وتعجب يثبت ذلك في مطالع آياته ومقاطعها^(٦٣) كما قال تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي نَقَّشَ غُرْمَهُ جُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ^(٦٤)).

٨ - يمكن للجدل القرآني أن يقنع الناس جميعاً إذا هم احتكموا إليه على اختلاف أصنافهم وتباين أفهامهم وتفاوت مداركهم فمثلاً قول الله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ^(٦٥) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَوْلِهِ تعالى ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ^(٦٥)) يستفيد منها الأمل علمياً غزيراً كما يعرف منها أن الله سبحانه وتعالى سيبعث الناس يوم القيامة فيزداد إيماناً كما علم ما لم يكن يعلم . ويقرؤها العالم بدقائق تكوين الإنسان والدارس للحيوان جرثومة فجيناً فحيواناً على ظهر الأرض حياً يرى فيها دقة العلم والتكوين وصدق الحكاية حتى لقد قرأها بعض الأطباء في أوروبا فاعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم أعظم طبيب رآه الأجيال السابقة فلما علم أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب آمن بأن هذا من علم الله تعالى باريء النسم^(٦٦).

وهذا من وجوه إعجاز القرآن المتعددة التي استوقفت كثيراً من الباحثين قديماً وحديثاً فآلفوا فيها المطولات ، وكانت غايتهم من ذلك بيان ما لهذا الكتاب من خصائص امتاز بها عن بقية الكتب السماوية الأخرى وعلى كل حال فإن القرآن الكريم معرض حافل بكل ما يسد حاجة المتطلع إليه وما يشبع كل ملكاته ومواهبه وهو بحق لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة طول النظر فيه بل يكشف عن الجديد لكل نظر متى حسنت نية الناظر وشرف مقصده .

(٦٣) انظر د/ محمد عبدالله دراز: النبأ العظيم: ص ١٠٩ بتصرف .

(٦٤) الزمر/ ٢٣ .

(٦٥) المؤمنون/ ١٢ - ١٦ .

(٦٦) انظر: الشيخ محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى: القرآن ص - ٣٩٥ بتصرف .

منهج الجدل في القرآن

لم يكن الجدل في القرآن الكريم أمراً مقصوداً لذاته وإنما كان رد فعل لموقف واجهته الدعوة الجديدة من قبل أعدائها سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من سواهم ذلك لأن الدين الإسلامي دين توحيد بكل ما تعنيه هذه الكلمة، توحيد في التأليه وتوحيد في القصد والعمل وتوحيد في القلوب والمشاعر إنه يقيم الحجة على أهل الكتاب حين يناديهـم (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ^(٦٧)) وبين أن دعوة الأنبياء جميعاً تنطلق من عقيدة واحدة هي عقيدة التوحيد وأنه لا خلاف بينهم في أصول العبادات والمعاملات والآداب فضلاً عن أصول العقيدة قال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ^(٦٨)) وأوقف العقل أمام تاريخ أولئك النفر الذين لم يستجيبوا للداعي التوحيد والتجمع والتألف على عقيدة واحدة حتى يكون في ذلك عبرة لأولي الألباب كما جاء في سورة آل عمران^(٦٩) وبين أن التفرقة في الدين والتشيع فيه يخرج بأتباعه عن الحق بحيث يتبرأ منهم أهل الحق والافتداء بهم قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ^(٧٠)) ثم يطلب إلى طائفة المؤمنين ألا يستجيبوا للداعي الفتنة والفرقة فقال: (وَلَا تَتَزَعَّوْا أَنْفُسَكُمْ فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا^(٧١)) ويقول (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا^(٧٢)).

والقرآن الكريم حيث يستخدم الجدل كمنهج لتمييز الخبيث من الطيب من الاعتقادات والتصورات يجعله بقدر الضرورة ذلك لأن المعرضين عن الحق إذا عاينوا دليل تهافت عقيدتهم ثم لم يدعنوا كانوا مكابرين ولا جدوى حيثئذ من التهادي في

(٦٧) آل عمران/ ٦٤.

(٦٨) الشورى/ ١٣.

(٦٩) آل عمران/ ١٠٥.

(٧٠) الأنعام/ ١٥٩.

(٧١) الأنفال/ ٤٦.

(٧٢) آل عمران/ ١٠٣.

جدا لهم بل يترك أمرهم إلى الله ليحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . وليس على الرسول إلا البلاغ . وكان هذا منطق القرآن عقب آيات الجدل^(٧٣) . ومن منطلق القاعدة التي يتعامل بها الإسلام مع أصحاب الملل والنحل المختلفة وهي عدم الإكراه طلب من الرسول ومن آمن معه أن تكون المواجهة هادئة لينة وأن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتي هي أحسن ويخص مجادلة أهل الكتاب بالتنويه والتوجيه فيقول : (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ^(٧٤)) ويقول (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ^(٧٥)) هذا وقد تعددت الطوائف التي أدرکها نزول القرآن الكريم وقد جمعتها الآية الكريمة في قول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ^(٧٦)) وسأقتصر على مجادلة أهل الكتاب لأن القرآن استغرق في حديثه معهم مساحات واسعة في كثير من سورة لما لهم من علم سابق ومعرفة كاملة بمحمد صلى الله عليه وسلم وبرسالته ولكنهم يكتمون الحق وهم به عالمون .

مجادلة أهل الكتاب

أولاً: اليهود

لم نجد في القرآن المكي ما يشير إلى وقوع أي جدال بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود حتى هاجر إلى المدينة حيث التقى بهم فقد كانوا يساكنون المسلمين وجيراناً لهم وطبيعي أن يدعوهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام لعموم رسالته ووجوب تبليغ دعوته ، وكان الظاهر أن يجيبوا دعوته لأنهم كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا بنبي قد جاء زمانه وقد حكى الله عنهم ذلك فقال تعالى : (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى

(٧٣) كما في قوله تعالى في سورة الحج/ ٦٨ - ٦٩ - والزمر/ ٣ .

(٧٤) العنكبوت/ ٤٦ .

(٧٥) آل عمران/ ٢٠ .

(٧٦) الحج/ ١٧ .

الْكُفْرَيْنِ^(٧٧) ولكنهم أعرضوا عن دعوته ولاحوا النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم قوم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله فمشكلتهم قائمة على اعتبار أنهم شعب الله المختار وأنهم جبلة خاصة تمتاز على سائر أمم الأرض ودماء الأمم جميعاً مهدرة في نظرهم^(٧٨) ولذا فهم لا يعترفون بنبي من غير بني إسرائيل بل كانوا يعدون ظهور رجل من غير بني إسرائيل يدعو إلى توحيد الإله وتمجيد إبراهيم وموسى وسائر النبيين أمراً غريباً في البشر، فأسروا له العداوة، وناذبوه الشر ودفعهم غرورهم إلى الإنكار والمكابرة والمهاجرة فاندفعوا لمجادلة النبي صلى الله عليه وسلم وسائر المسلمين وناقشواهم مناقشات دينية أخذت أولاً دوراً دينياً هادئاً ثم أخذت من جانبهم سباً واستهزاء وخيانة حتى اضطر النبي صلى الله عليه وسلم إلى إجلاء بعضهم ومحاربة الآخرين وفي دور المجادلة كان جدالهم واسع النطاق غير محدود لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب أقواماً يقرون بكتاب ويؤمنون برسول، فكان يلزمهم بما جاء في كتبهم وينعى عليهم مخالفتهم لما جاءت به رسلتهم وهم كانوا يعلمهم بالكتاب يوجهون أسئلة فيها شيء من الدقة والمعرفة وإن كانوا ضالين كما سيأتى بيانه :

١- موقفهم من قضية الألوهية:

طالعنا القرآن الكريم بأنهم ماديون في تصورهم للذات الإلهية ولزم عن هذا التصور أن وصفوه بما لا يليق به بل بما لا يليق بالإنسان العادى فقد نسب إلى الله في التوراة من أنه خلق الخلق ثم فرغ منه بعد تعب فاستراح في اليوم السابع (وفرغ الله في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدمه، لأنه فيه استراح من جميع عمله^(٧٩)) فرد الله هذا الزعم بقوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ^(٨٠)) كما أبطل القرآن وصف الإله بصفات البشر على سبيل التحديد والتجسيد أو الوصف حيث كثرت النصوص التي صرحت برؤية موسى وغيره للرب وجهاً لوجه وكذلك رؤية الشعب له بل طلبه منهم

(٧٧) البقرة/ ٨٩.

(٧٨) عبد الرحمن حبنكة: مكائد يهودية عبر التاريخ ص ١٠، ١١.

(٧٩) سفر التكوين ٢/ ٢-٣ والخروج ١١/ ٢٠-١٧/ ٣١، الثنية ٥/ ١٢ ونحميا ٩/ ١٤ وأشعيا ٥٨/ ١٣.

(٨٠) ق/ ٣٨.

مسكناً ليحل في دارهم فضلاً عن صفات أخرى ، كما ورد (فدعا يعقوب اسم المكان فيثييل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه^(٨١)) وقول موسى للشعب (وجهاً لوجه تكلم الرب معنا في الجبل من وسط النار^(٨٢)) (لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء^(٨٣)) وقد صرح القرآن الكريم ببطان ذلك فقال (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ^(٨٤)) ونزه القرآن الكريم الذات العلية عن مشابهة الحوادث فقال (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ^(٨٥)) .

كما رد القرآن الكريم نطياولهم على ذات الإله بقولهم (إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ^(٨٦)) وحين قالوا (يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) فقال تعالى : (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا^(٨٧)) كذلك أبطل القرآن دعوي التمييز التي يدين بها اليهود سواء أقام التمييز على أساس تخصيص الإله برعايتهم وعنايتهم وسكناهم بينهم دون سواهم أم قام التمييز على أساس الاصطفاء في الرسالة وقد ورد ما يدل على ذلك في سفر الخروج ١٣/٢١ ، ١٤-١-٥ ، ١٦/٤-٢٤ ، ١٩/١٢-٢٣ . . . إلخ وفي سفر العدد ٩/١٥ ، ١٦/١١-٣٣ وقد أجمل القرآن الكريم هذا التصور في قوله تعالى على لسانهم (نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ^(٨٨)) وفي هذا اتهام له سبحانه بالمحاباه والمجاملة على غير أساس فرد عليهم هذه الدعوى بقوله (قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ) ولما زعموا أنهم أولياء لله من دون الناس تحداهم بإثبات ذلك عملياً (قُلْ يَتَّخِذُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(٨٩)) وَلَا يَمْنُونَهُ^(٩٠) أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ^(٩١)) وعندما قالوا (لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى) وكانت أحلامهم أن لا ينزل على

(٨١) تكوين ٣٢/٣٠ .

(٨٢) التثنية ٥/٤ .

(٨٣) خروج ١١/٤ .

(٨٤) الأنعام/٩١ ، الزمر/٦٧ .

(٨٥) الشورى/١١ .

(٨٦) آل عمران/١٨١ .

(٨٧) المائدة/٦٤ .

(٨٨) المائدة/١٨ .

(٨٩) الجمعة/٦-٧ .

المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم كفاراً وأن أمانتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم رد عليهم القرآن هذه الدعوى (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(٩٠)) وعندما قالوا (لَنْ تَمْسَنَا النَّكَارُ إِلَّا آتِيَانَا مَعْدُودَةً) بناء على تصورهم الفاسد أنهم لن يعذبوا في النار إلا أربعين يوماً بعدد أيام عبادتهم العجل بين لهم القرآن الكريم فساد هذا التصور فقال: (قُلْ أَتُخَذُّ تُمَّ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ^(٩١)). كما أبطل القرآن الكريم عنصرية المعتقد في كون الهداية مقصورة على اليهودية أو النصرانية (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا^(٩٢)). كما يكشف القرآن عن زيفهم حين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يزعمون أنه من عند الله فقال: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ^(٩٣)). وهذا التزييف الذي يفعلونه بأيديهم ثم ينسبونه إلى الله لم يصدق. لأنه أليق بهم وجل جناب الحق عن أن يتعامل بهذا المنطق لأنه حكيم خير عدل عليم، ومع هذا الغرور العنصري أشار القرآن إلى ملمح خطر قد يكون مفتاح هذا التعالي وهو إحساس اليهود باحتقار الناس لهم وشكهم في هذا الأمر دائماً وهذه القضية تأتي في مكانها الطبيعي لأن الشعور بالنقص يدفع صاحبه إلى إبراز ما ليس فيه متقمصاً لصور خارجة عنه وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هُزُوا قَالَ أَاعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ^(٩٤)) وهذا من إحساسهم باحتقار الناس لهم وموسى عليه السلام يرد عليهم بأن إحساسهم هذا يجب أن ينتفى لأن الهزء في تبليغ أمر الله جهل وسفه لا يليق برسول. وهذا يؤكد أن العنصرية اليهودية ثابتة في نفوسهم ومستكنة في غرائزهم وقد اشتهروا بها حتى صارت خاصة من خواصهم.

(٩٠) البقرة/ ١١١.

(٩١) البقرة/ ٨٠.

(٩٢) البقرة/ ١٣٥.

(٩٣) البقرة/ ٧٩.

(٩٤) البقرة/ ٦٧.

هذا بعض ما ساقه القرآن الكريم رداً على ما كان من أمر اليهود في قضية الألوهية مما يشكل المفتاح الحقيقي لنفسية اليهود: التصور المادى الصرف، الكذب والتزييف، الخداع، الافتراء... إلخ.

٢. موقفهم من الرسل:

لقد كان منطق اليهود في نظرهم إلى الأنبياء منطقاً غريباً يدل على نفسيتهم الأنانية الملتوية بحيث لا يرضون من الرسل إلا من هادنهم وإذا كانت الرسالة أسمى من هذا التصور الفاسد لأنها لم تحيى إلا لإرساء قواعد الحق والعدل فإن النتيجة الطبيعية لذلك أن يكذبوا فريقاً من الأنبياء ويقتلوا فريقاً. (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ^(٩٥)) فنظرة اليهود إلى الرسل امتداد لما دبتهم حيث يلحقون بهم النقص والسوء فقد نسبوا إلى لوط عليه السلام شربه للخمر واضطجاعه مع بناته^(٩٦) كما نسبوا إلى داود عليه السلام أنسه في شيخوخته بفتاة جميله^(٩٧) وقالوا عن سليمان أنه كان مغرماً بالنساء ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب^(٩٨) وهكذا أنزل اليهود بالرسل صفات النقص والخسة وجردوهم من روحانية الوحي وعصمة الرسالة وقد بين الجدل القرآني مدى استهزائهم بالرسل حيث قالوا لموسى عليه السلام (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً^(٩٩)) وقالوا (فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ^(١٠٠)) ولما طلب منهم هارون أن يتركوا عبادة العجل قالوا: (لَنْ تَبْرَحَ عَلَيْهِ عِكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى^(١٠١)) كما نظروا إلى محمد صلى الله عليه وسلم نظرة تنبيء عن طبيعتهم يقول أحد أحبارهم الذين أسلموا (وأما الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فله فيما بينهم اسمان فقط . أحدهما (فاسور)

(٩٥) البقرة/ ٨٧.

(٩٦) التكوين/ ٩/ ٣٠-٣٦.

(٩٧) الملوك الأول/ ١/ ٤١.

(٩٨) الملوك الأول/ ١/ ٢١.

(٩٩) البقرة/ ٥٥.

(١٠٠) المائدة/ ٢٤.

(١٠١) طه/ ٩١.

وتفسيره الساقط والثاني (موشكاع) وتأويله المجنون . وأما القرآن العظيم فإنه يسمى فيما بينهم (قالون) وهو اسم للسوأة بلسانهم يعنون بذلك أنه عورة المسلمين وسوأتهم (١٠٢).

وقد بين القرآن الكريم مواقفهم مع موسى عليه السلام فيما نقضوه من التزامات ومواثيق وفيما قاموا به من أعمال معه ومع من بعده من الأنبياء مما يجعل خبث طويتهم وغدرهم وتخريبهم حلقة متصلة في كل مجال : قال تعالى (فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ وَكَفَرُوا بِثَابِتِ اللَّهِ وَقَالُوا لِلْأَنْبِيَاءِ يُعَذِّبُكُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) (١٥٥) وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتِنًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ يتورعون عن ارتكاب أفظع الجرائم . متى تبيأت لهم القدرة على التنفيذ وليس هناك أسوأ من تكذيب أو قتل من يسدى إليهم النصيح ويأخذ بيدهم إلى طريق الخير والرشاد .

٣ - موقفهم من كتب الله تعالى

يحدثنا القرآن الكريم بأنهم كانوا يلوون ألسنتهم بالكتاب (أى يؤولونه) حسب أهوائهم ويزعمون أن هذا من عند الله ، وهذا من أظهر البراهين على سوء نيتهم نحو الكتب السماوية كما حدثنا بأنهم كانوا لا يعترفون إلا بالآيات التى توافق نفوسهم ويكفرون بما دونها كما بين أنهم وقفوا من الكتب السماوية الأخرى موقف المنكر لها قال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ) (١٠٤) وفى المقطع الأخير من هذه الآية دليل على تهافت موقفهم لأن كتب الله يصدق بعضها بعضاً والإيمان بها جميعاً مبنى على هذه القضية .

إذن فالكفر ببعضها هو كفر بها جميعاً ، والزعم بأنهم لا يؤمنون إلا بما أنزل عليهم حيثئذ يكون هو الباطل بعينه لأن ما ينكرونه يصدق ما بأيديهم فكأنهم يردون ما

(١٠٢) السؤال : بذل المجهود في إفحام اليهود ص ٩ نقلا عن الدعوة الإسلامية ص ٣٩٥ مرجع سابق .

(١٠٣) النساء / ١٥٥ - ١٥٧ .

(١٠٤) البقرة / ٩١ .

يستدل به على صدق كتابهم وهذا هو الضلال المبين . كما يحدثننا بأنهم كانوا يدلون على الكفار بأنهم من أهل الكتاب وأنه سيأتى إلى القوم ما يصدق ذلك ولكنهم كفروا به على الرغم من معرفتهم السابقة بهذا المجيء قال تعالى : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)^(١٠٥) وفي هذا أيضاً دليل على تهافت هذا الموقف إذ أن معرفتهم بما جاء في كتابهم من البشارة بكتاب لاحق لم تحملهم على الإيمان به مما يدل على أن إيمانهم بكتابهم لم يأخذ بمكان نفوسهم ومشاعرهم بل كان مجرد دعوى^(١٠٦).

وكان النبی صلی الله عليه وسلم في جدله معهم ينكر تحريفهم التوراة واختلافهم فيها ويكفى ذلك الاختلاف دليلاً على الشك في حقيقة ما بأيديهم قال تعالى : (قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كُتِبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ^(١٠٧)) وأنكر النبی منهم عدم تلقيهم لتعاليم دينهم من كتبه بل من الأجبار وقد ذم الله صنيعهم هذا بقوله : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ^(١٠٨)).

والحقيقة التي لا شك فيها أن اليهود أضاعوا التوراة وتركوا العمل بما فيها فضلوا عن منهج الله القويم وذهبوا يحرفون الكلم عن مواضعه وأصدق دليل على هذا قوله تعالى : (مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ^(١٠٩)) يريدون بتحريفهم لها على هواهم أن يفرضوا آراءهم الضالة على الناس وينكرون مجيء النسخ عليها محافظة على ماديتهم التي بشوها فيها يقول الشهرستاني : (واليهود تدعى أن الشريعة لا تكون إلا واحدة وهي ابتدأت بموسى عليه السلام وتمت به فلم تكن قبله شريعة إلا حدود عقلية وأحكام مصلحية ثم قالوا : فلا يكون بعده شريعة أصلاً^(١١٠)).

٤. قضايا أخرى

(١٠٥) البقرة/ ٨٩.

(١٠٦) انظر : د/ محمد عبدالستار نصار : العقيدة الإسلامية ص ٨٣ ، ٨٤ .

(١٠٧) البقرة/ ٧٩.

(١٠٨) التوبة/ ٣١.

(١٠٩) النساء/ ٤٦.

(١١٠) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

وقد أوصلتهم مجادلتهم للرسول صلى الله عليه وسلم إلى كثير من المهاترات التي تكشف عما تنطوي عليه نفوسهم وقلوبهم لما عندهم من علم به ولكنهم جحدوا الحق وأنكروا التنزيل وجحدوا نبوة عيسى وأشركوا بالله وتنطعوا بالسؤال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١١١). فسألوه أن ينزل عليهم كتاباً من السماء^(١١٢) وسألوه عن الساعة^(١١٣) والروح^(١١٤). وسألوه عن ذى القرنين^(١١٥). وكانوا في جدلهم معه كجدل المتعنتين من أسلافهم مع موسى عليه السلام - لا يطلبون رشاداً ولا ييغون سداداً ولا يريدون حقاً ينصرونه بل باطلاً يلون به الستهم^(١١٦). فمثلاً ادعوا أن إبراهيم عليه السلام كان على ديانتهم وقد رد القرآن عليهم تلك الدعوى فقال:

(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(١١٧)).

كما ادعوا أن عدم استجابتهم لمحمد إنما هو بسبب عداوتهم لجبريل عليه السلام وقد صرحوا بذلك حين سألهم عمر بن الخطاب يوماً وكان يجالسهم في مدراسهم فبالرحمن الذى أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أتجدون محمداً نبياً في كتابكم؟ فسكتوا ونظر بعضهم لبعض! فقال رجل منهم: أخبروا الرجل أو لأخبرنه قالوا نعم: إنا نجده مكتوباً عندنا. ولكن صاحبه الذى يأتيه بالوحي هو جبريل وجبريل عدونا وهو صاحب كل عذاب وقاتل وخسف ولو أنه كان وليه ميكائيل لآمننا به فإن ميكائيل صاحب كل رحمة وكل غيث^(١١٨) فأبطل الله زعمهم بقوله تعالى: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ^(١١٩) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُّ الْكَافِرِينَ^(١٢٠)).

(١١١) انظر ابن هشام السيرة النبوية ج ٢ ص ٥٦٧ - ٥٧٠.

(١١٢) النساء/ ١٥٣.

(١١٣) الأعراف/ ١٨٧، الأحزاب/ ٦٣، النازعات/ ٤٢.

(١١٤) الاسراء/ ٨٥.

(١١٥) الكهف/ ٨٣ - ٩٨.

(١١٦) انظر تاريخ الجدل ص ٥٢ مرجع سابق.

(١١٧) آل عمران/ ٦٧.

(١١٨) انظر: جامع بيان العلم وفضله ص ١٠١، ١٠٢، ابن القيم هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: ص ٩٤.

(١١٩) البقرة/ ٩٧، ٩٨.

ولما تقولوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تحويل القبلة وانتهزوها فرصة لتضليل الرأي العام وإشاعة حالة السوء نزل القرآن يفضح أمرهم ويرد عليهم افتراءهم وضلالهم حيث يقول: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . . الخ الآيات (١٢٠)).

كما أنكر اليهود قضية النسخ واعتبروها مطعناً في القرآن الكريم فذهبوا يشيرون الفتن ويقولون: (ألا ترون أن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً وغداً يرجع عنه (١٢١)) (ما هذا من شأن الأنبياء، وما هذا إلا من كلام محمد يقول من تلقاء نفسه وهو كلام يناقض بعضه بعضاً (١٢٢)) فرد القرآن شبهتهم ودحضها بالحجة والبرهان قائلاً: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا . . (١٢٣)) وقد نقض القرآن الأساس الذي تقوم عليه هذه الشبهة وهو إنكار النسخ فأثبت وقوع النسخ من واقع توراتهم كما تنص عليه كتبهم التي بين أيديهم وتقرير ذلك إن جميع المطعومات كانت حلالاً لبنى إسرائيل إلا ما حرمه إسرائيل على نفسه من لحوم الإبل والبانها وتبعه بنو إسرائيل في التحريم تأسيساً به ثم حرم الله عليهم بعض الطيبات بسبب بغيتهم وكانت حلالاً لهم قبل ذلك فأنكروا أن يكون التحريم خاصاً بهم وادعوا أنه كان من عهد الأمم الماضية وأنهم ورثوه عن الأنبياء السابقين فتحداهم القرآن أن يثبتوا ذلك بطريق صحيح قائلاً: (قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٢٤)) فلم يستطيعوا إخراج التوراة لأن ما فيها سيفضحهم ويكشف كذبهم ولهذا بهتوا وانقلبوا صاغرين . ويطول بنا الحديث لو تتبعنا جدال القرآن لليهود ويكفى أن نبين أنهم من أصحاب الكتب السأوية الذين يمثلون قمة الإنحراف وسوء الفطرة وظهر ذلك من مزاعمهم فكان على القرآن أن يجادلهم ويكشف عوراتهم بالوقوف على ماديتهم وعنصريتهم وسوء أخلاقهم (١٢٥) . ويمكن القول أنه مامن قضية من قضايا

(١٢٠) البقرة/١٤٢ - ١٥٠ .

(١٢١) الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ج ٣ ص ٢٢٦ .

(١٢٢) الألوسي روح المعاني: ج ١ ص ٣٥١ .

(١٢٣) البقرة/١٠٦ .

(١٢٤) آل عمران/ ٩٣ .

(١٢٥) انظر: الدعوة الإسلامية ص ٣٨٩ - ٣٩٩ مرجع سابق .

الإيمان إلا وقد انحرفت بها نفوسهم وعقولهم عن جادة الطريق كما سبق أن بينت . .
والمهم أن نبرز هنا أن مواجهة القرآن لهم قصد من ورائها كشف هذا التزييف الذي
يزعمون أنه الحق حتى لا يشكل نوعاً من الرواسب التي تحول دون الاعتقاد الصحيح
ولأنهم أوتوا من الحيلة ما به يلبسون الحق بالباطل ولكن أنى لهم ذلك والله من ورائهم
محيط وليس بغافل عما يعملون .

ثانياً: النصارى:

دار جدل القرآن الكريم مع النصارى حول قضايا عدة أقتصر منها على قضية
رئيسية هامة هي رد المزاعم التي قيلت في حق المسيح عليه السلام على يد الكثير من
أتباعه من تأليهه وقد انتهت من هذه القضية إلى نتيجة هامة هي : (بشرية المسيح) ، وأنه
ليس إلهاً ولا جزء إله وقد استلزم الوصول إلى هذه النتيجة الحديث عن الظروف
والملاسات التي أحاطت بميلاده والآيات الدالة التي تؤيد دعواه الرسالة وقد جاء
أكثر ذكر القرآن الكريم لهذه الملاسات في سورة مريم أم المسيح عليه السلام قال
تعالى : (وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً . . . إلى آخر قوله تعالى
فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْ نُسِيّاً^(١٢٦)) وفي هذه الآيات التي تحدثت عن واقعة الميلاد تصريح بأن
ميلاده عليه السلام من غير أب إنما هو آية للناس ورحمة من الله ولا يستحيل على
القدرة الإلهية أن تحرق القوانين العادية فيجىء ميلاده على هذا الشكل لأن الله لا
يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء والمستحيلات التي نقولها نحن البشر إنما هي
بالنسبة لقدرات الإنسان وطاقاته المحدودة^(١٢٧) . وكان من الطبيعي أن يكون هذا
الحدث محل اعتراض من القوم لذلك تراهم قد بادروا مريم بالاستنكار مستخفين
وراء استصحاب عراقه أصلها وطهارة نسبها : (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَمْرِمُ
لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيّاً^(٢٧)) يَأْتِ هَٰؤُلَاءِ مَا كَانَ آبُوكَ أَمْراً سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيّاً^(١٢٨)
ولم تملك من تصرف في هذا المقام سوى أن تترك الحقيقة لتعبر عن نفسها (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ
قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً . . إلى قوله تعالى إِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ

(١٢٦) مريم/ من ١٦- ٢٦ .

(١٢٧) انظر : العقيدة الإسلامية ص ٩٠ بتصرف .

(١٢٨) مريم/ ٢٧ = ٢٨ .

(١٢٩) مريم الآيات من ٢٩- ٣٥ .

فَيَكُونُ (١٢٩).

وقد أبطل القرآن الكريم ما أثاره النصارى من دعاوى باطلة يعتقدون من خلاها تأليه المسيح فقد اعتقدت طائفة منهم أن المسيح جوهر من جوهرين وهو إله وهو المولود فقالوا (إن مريم ولدت إلهاً) (١٣٠) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقد صرح القرآن الكريم بصدور هذه المقالة عن بعض فرق النصارى حيث قال: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) ثم جادلهم وأبطل مزاعمهم ودحض حججهم فقال: (قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَوَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) وفي هذا بيان على أن الله هو المتصرف في جميع خلقه في السموات والأرض وما بينهما ولا يقدر المسيح عن دفع شيء من أفعال الله أو منع شيء من مراده والمسيح وأمه مخلوقان محدودان وما أحاط به الحد والنهاية لا يصلح للألوهية، ومثار هذه الشبهة عند النصارى هو ما يجريه الله على يد عيسى عليه السلام من خوارق العادات وما ظهر من خلق الله تعالى له على غير ما جرت به السنن الكونية في التوالد والتناسل وقد ختم القرآن هذه الآية التي ترد على مزاعم النصارى بقوله تعالى: (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١٣١) فقد يخلق الإنسان من الذكر والأنثى كما هو المعتاد في نظام التوالد العام وتارة من غير أب ولا أم كما في خلقه لآدم عليه السلام وتارة من أم بلا أب كما في خلق عيسى عليه السلام وتارة من ذكر بلا أنثى كما في خلق حواء من آدم عليه السلام، كما أن من دلائل قدرته تأييد رسله بالمعجزات التي تخرج عن طوق البشر ومنها ما ظهر على يد عيسى عليه السلام مما حدثنا القرآن الكريم عنه مثل تصويره لطير من الطين ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وإبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله . الخ (١٣٢)، كما أبطل عقيدة التثليث التي أجمع عليها النصارى قال تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ) (١٣٣) وقال: (يَتَأَهَّلَ الْكَتَبَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا

(١٣٠) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل ج ١ ص ٢٢٧.

(١٣١) المائدة/ ١٧.

(١٣٢) آل عمران/ ٤٩، المائدة/ ١١٠-١١٥.

(١٣٣) المائدة/ ٧٣.

الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَمَنَّا بِاللَّهِ
وَرُسُلَهُ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ
وَلَدٌ^(١٣٤) يقول القرطبي رحمه الله (والنصارى مع فرقهم مجمعون على التثليث
ويقولون أن الله جوهر واحد له ثلاثة أقانيم فيجعلون كل أقنوم إلهاً ويعنون بالأقنوم
الوجود والحياة والعلم وربما يعبرون عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس فيعنون
بالأب الوجود وبالروح الحياة وبالإبن المسيح^(١٣٥) كما أبطل القرآن ما يعتقده بعض
النصارى في ألوهية مريم فقال (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ^(١٣٦)) وقوله تعالى: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَتَكَلَّمَانِ عَلَى طَعَامٍ أَنْظَرَ كَيْفَ تَنْبِئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ
أَنْ يَزُفَكَوْنِ^(١٣٧)) يقول ابن حزم (لولا أن الله حكم عليهم بالكفر في كتابه
واستنكر على المسيح قولهم (اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) لما انطلق لسان مؤمن
بحكاية هذا القول العظيم الشنيع ، وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في
العالم عقلاً يسع هذا الجنون ونعوذ بالله من الخذلان^(١٣٨) . وفي حدود هذا الإطار
(إطار بشرية المسيح) ونبوته فقط أفاض القرآن في تأكيد هذه الحقيقة ورد عليهم بأقوى
حجة وأحكم برهان فهو ليس إلا رسولاً قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا
يأكلان الطعام ولم يجعل له ولها الألوهية من دون الله لأنه ليس إلا عبداً أنعم الله عليه .
وجعله مثلاً لبني إسرائيل وأنه يجري عليه من الأمور الطبيعية ما يجري على سائر البشر
من الأكل والشرب والموت والبعث . . . إلخ . أما قولهم إن المسيح ابن الله فمثار هذه
الشبهة لديهم أن الله تعالى خلقه من أم دون أب خلاف ما جرت سنته تعالى في التوالد
والتناسل فقالوا عنه إنه ابن الله وهم بهذا الإدعاء ينسبون الولد والتوالد إلى الله وقد
كبر على الله أمر هذه المقالة الشنيعة فقال تعالى (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ

(١٣٤) النساء/ ١٧١ .

(١٣٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٢٣ .

(١٣٦) المائدة/ ١١٦ .

(١٣٧) المائدة/ ٧٥ .

(١٣٨) ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ٤٩ .

جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعُوا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ (١٣٩).

كما أبطل القرآن دعوى بنوة المسيح أو بنوة غيره بدلائل منطقية قال تعالى: (يَدْعُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَنِيجَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩١﴾) (فنفى التولد عنه لامتناع التولد من شيء واحد وأن التولد إنما يكون بين اثنين وهو سبحانه لا صاحبة له وأيضاً فإنه خلق كل شيء وخلق له لكل شيء يناقض أن يتولد عنه شيء وعلمه بكل شيء يستلزم أن يكون فاعلاً بإرادته فإن الشعور فارق بين الفاعل بالإرادة والفاعل بالطبع فيمتنع مع كونه عالماً أن يكون كالأمر الطبيعية التي تتولد عنها الأشياء بلا شعور كالحر والبارد فلا يجوز إضافة الولد إليه (١٤١) وأنه سبحانه لو شاء ذلك ما ترك الاختيار فيه للبشر (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) (١٤٢) ولكن صفات الإله ومقام الألوهية لا يبيحان ذلك (لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٩٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٩٣﴾).

ولم يكتف القرآن الكريم بإقامة الحجة والبرهان عليهم وإبطال معتقداتهم في الألوهية عيسى عليه السلام ولكنه حسماً للقضية التي ألصقها القوم به أعلن القرآن أن ما نسب إليه سيتبرأ منه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة ويعلن عبوديته لله تعالى وتبليغه لرسالة ربه فيقول: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَآمِي إِلَهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٣٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ) (١٤٤) وامتن الله على عيسى عليه السلام بأنه لن يستنكف أن يكون عبداً لله فقال (لَنْ

(١٣٩) مريم/ ٨٨-٩٢.

(١٤٠) الأنعام/ ١٠١.

(١٤١) ابن تيمية: الرد على المنطقيين ج ١ ص ٣٨٠ تحقيق: د/ محمد عبدالستار نصار وزميله.

(١٤٢) الزمر/ ١١.

(١٤٣) الاخلاص/ ٣، ١١.

(١٤٤) المائدة/ ١١٦، ١١٧.

يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ وَلَا الْمَلَكَةُ الْمُقَرَّبُونَ^(١٤٥).

وقد أخبرنا القرآن أن من النصارى من يقتنع بالحق ولكنه يصر على ما معه من الباطل ومنهم وفد نجران الذين جادلهم الرسول صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى المباحلة بعد أن دعاهم إلى الإسلام فأبوا وقالوا كنا مسلمين قبلكم فقال لهم عليه الصلاة والسلام يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن لله ولدا، قالوا: فمن مثل عيسى خلق من غير أب؟ فنزل قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^(١٤٦)). وليظهر الله أنهم في شك من أمرهم أنزل قوله تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ... الخ^(١٤٧)) وقد عدلوا عن المباحلة، ولكنهم لم يقبلوا الدخول في الإسلام وقبلوا بدلاً من ذلك دفع الجزية^(١٤٨).

هذه لمحة عن جدل القرآن للنصارى في شأن عيسى فيما يتعلق بمزاعمهم فيه من البنوة والألوهية وما ألصقوه به من التهم بعد رفعه إلى السماء. ونكتفى بهذا القدر الذي تناول به القرآن قضية الألوهية بما يقتضيه المقام من أدلة وبيان، ومن كل ما تقدم يتبين مقصد القرآن من مجادلة أهل الكتاب كما سيأتى.

مقاصد الجدل القرآنى لأهل الكتاب.

تتلخص مقاصد الجدل القرآنى لأهل الكتاب فيما يأتى:

- ١- إثبات وحدانية الله عز وجل وإبطال مزاعم أهل الكتاب التى تنافى ذلك فالله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ولا رب سواه (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا^(١٤٩)) وقد أقام الله الحجة عليهم بما بينه في كتابه وبما جادلهم به من أسلوب

(١٤٥) النساء/ ١٧٢.

(١٤٦) آل عمران/ ٥٩.

(١٤٧) آل عمران/ ٦١- ٦٣.

(١٤٨) انظر: مفاتيح الغيب ج ٨ ص ٨٥، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٧٠، ٣٧١، الجامع لأحكام

القرآن ج ٤ ص ١٠٤ الزخشري: الكشاف: ج ١ ص ٣٢٦.

(١٤٩) الأنبياء/ ١٢.

وحجة دامغة (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ ^(١٥٠)) .

٢ - إثبات وحدة الدين : فالأديان كلها من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم متفقة على أن دين الأنبياء واحد يقول النبي صلى الله عليه وسلم (الأنبياء أخوة من علات وأمهاهم شتى ودينهم واحد ^(١٥١)) فالتوحيد هو دين العالم أوله وآخره سابقه ولاحقه والنصوص الدالة على ذلك كثيرة في الكتب المنزلة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعاً من الرسل ولم يأت ليهدم ما في التوراة والإنجيل وإنما جاء خاتماً للمرسلين وداعياً إلى الله على طريقة الرسل السابقين .

٣ - إثبات تحريف الكتب السابقة : فتحريف أهل الكتاب لكتبهم أبطل حجيتها فنسخت بالقرآن الذي جاء مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل ومصححاً لما حرف منها لأن الله تكفل بحفظه دون غيره من الكتب فقد أوكل حفظها إلى الأمم التي نزلت عليهم ولو سلمت هذه الكتب من التحريف لما حدث كل هذا الجحود والكفران والعداء من أهل الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأقروا برسائلته وأمنوا بدعوته .

٤ - إبطال مزاعم أخرى لأهل الكتاب : فقد أبطل الله مفترياتهم وكذبهم على الله متصدياً لهم مفنداً أقوالهم فيما زعمه اليهود من أنهم شعب الله المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأن الله فضلهم على العالمين ، فلما كفروا بالله بعد ذلك وقتلوا الأنبياء والصالحين وعاثوا في الأرض فساداً وأساءوا الأدب مع الله إلى غير ذلك خرجوا بفعلهم هذا من كونهم أفضل العالمين إلى كونهم أسوأ الناس أجمعين .

أثر الجدل القرآني في نفوسهم:

لقد كان لهذه النصوص القرآنية وغيرها مما هو وثيق الصلة بذات الموضوع الأثر الكبير في إيقاد نار الحقد والبغضاء في صدور أهل الكتاب الذين بلغتهم هذه النصوص

(١٥٠) الأنعام/١٤٩ .

(١٥١) رواه مسلم : ج ٧ ص ٩٧ كتاب الفضائل .

(١٥٢) آل عمران/ ١١٣ - ١١٥ .

إلا من هدى الله متجاهلين ثناء القرآن على موسى وعيسى عليهما السلام وما ذكره من بعض خصال الفضل لدى بعض أهل الكتاب كما ورد في سورة آل عمران^(١٥٢) والمائدة^(١٥٣) والحديد^(١٥٤) والصف^(١٥٥) فتوجهوا بالتشكيك في طبيعة الدعوة وشخصية الداعي وما زالت مؤمراتهم السرية ومجادلاتهم العلنية التي بدأت في المدينة المنورة لم تقف عند حد، وعداء أهل الكتاب للإسلام أدى إلى اصطدام عنيف مبكر مع اليهود في الجزيرة العربية ومع النصارى من يوم تبوك واليرموك إلى الحروب الصليبية وحتى يومنا هذا الذى مازال فيه تحالف أهل الكتاب من اليهود والنصارى قائماً من أجل القضاء على الإسلام ومحاربة المسلمين.

وتاريخ المسلمين الطويل في الماضى والحاضر خير شاهد على الغزوات الشرسة عسكرية وفكرية التي تعرض ويتعرض لها المسلمون في شتى أنحاء الأرض يغذيها عداء دفين ظاهر أحياناً ومستتر في أغلب الأحيان، وإن ظهر لنا أحياناً نوع من التقارب ممن ليسوا منا فإنها هو تقارب يمليه المكر والخداع.

وهم الآن يتحركون فوق كل مسرح للكيد للإسلام وأمنه والقضاء على معالم الإيمان وجمال القيم والفضيلة ولذلك تراهم وراء كل محنة أصابت المسلمين وخلف كل فتنة حلت بهم . والحقيقة أن الإسلام معركته مستمرة مع أهل الكتاب الذين كرهوا محمداً وضاقوا باتباعه ذرعاً محاولين القضاء على دعوة الإسلام في عمل دءوب وخطة محكمة لصرف المسلمين عن دينهم وتوهميه في قلوبهم حتى يهدأ بالهم وهذا ما صرح به القرآن في قوله تعالى : (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ ^(١٥٦)) وقوله تعالى : (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكَ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ^(١٥٧)) وقوله تعالى (وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ ^(١٥٨)) إلى آخره وفي هذا تقرير

(١٥٣) المائدة/ ٨٢ ، ٨٣

(١٥٤) الحديد/ ٢٧

(١٥٥) الصف/ ١٤

(١٥٦) البقرة/ ١٢٠

(١٥٧) البقرة/ ٢١٧

(١٥٨) آل عمران/ ٦٩

صديق من العليم الخبير يكشف عن حقيقة العلة الأصلية في نفوس أهل الكتاب إنها معركة العقيدة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان ضد الأمة المسلمة وهم بما لهم من حيل يلونونها بألوان شتى ويعلنونها إما باسم الأرض أو غيرها بعد أن ألقوا في روع المسلمين أن مسألة العقيدة قد صارت مسألة قديمة لا معنى لها ولا يجوز رفع رايثها . وخوض المعركة باسمها سمة المتخلفين المتعصبين وهم يفعلون ذلك لغرض دفين في نفوسهم ليخدعونا عن حقيقة المعركة وطبيعتها فإذا نحن خدعنا بخديعتهم فلا نلومن إلا أنفسنا ونحن نبعد عن توجيه الله لنبيه ولأمته وهو سبحانه وتعالى أصدق القائلين (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ^(١٥٩)) .

فذلك هو الثمن الوحيد الذي يرتضونه وما سواه فمرفوض ومردود ذلك لأنهم لا يأمنون على باطلهم وبغيهم وفسادهم وفي الأرض جماعة تؤمن بالإسلام وتنهج منهجه وتعيش بنظامه . وتتنوع وسائلهم وأدواتهم وأساليبهم في النيل من الإسلام وأمته ولكن الهدف يظل ثابتاً وكلما انكسر في يدهم سلاح انتضوا سلاحاً غيره وكلما كلت في أيديهم أداة سخرها أداة غيرها .

والخبر الصادق من العليم الخبير قائم يحذر الجماعة المسلمة من الاستسلام وينبهاها إلى الخطر ويدعوها إلى الصبر على الكيد والصبر على المجاهدة وإلا فهي خسارة الدنيا والآخرة والعذاب الذي لا يدفعه عذر ولا مبرر .

وفي مجادلة القرآن لأهل الكتاب كشف دقيق لحقيقة نفوسهم وتقرير كاف لمكنون صدورهم وما انطوت عليه من حقد وكراهية والتاريخ المرير والواقع الأليم شاهدان على صنيع أهل الكتاب . . . ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أهم نتائج البحث

- ١ - الجدل ظاهرة عامة كما أنه نزعة إنسانية وجبلة فطرية .
- ٢ - الجدل القرآني أسلوب معجز لمخاطبته كل مقام بما يتناسب معه فتنجلي النتائج بنصرة الحق على الباطل واستعلائه عليه .
- ٣ - توفرت في القرآن الكريم الأساليب الجدلية الناطقة بالحجج الصحيحة التي تهدف إلى هداية الكافرين وإلزام المعاندين ببيان الحقائق وترسيخها في أذهان الناس .
- ٤ - إن الجدل القرآني يستهدف الحقائق في ذاتها ويقيم عليها البراهين والحجج الدالية على الأمور المعينة بما جاء على السنة الرسل والأنبياء تقريراً للحق ودفعاً للباطل .
- ٥ - الجدل القرآني إما ممدوح وإما مذموم وفيصل التفرقة بينهما هو معرفة الحق والباطل والحكم عليه بالتحريم أو بغيره يتعلق بالغاية منه فحيث وجد الجدل بالحق كان مباحاً أو واجباً وحيث وجد الجدل بالباطل كان محرماً وعليه فلا تعارض بين النصوص الواردة في الأمر به أو النهي عنه .
- ٦ - لم يسلك القرآن في جدله طرق المنطق اليوناني في ترتيب المقدمات والنتائج بأشكال منطقية مطولة ولكن ورد بلسان عربي مبين بعيداً عن التعقيدات المنطقية الاسطلاحية فجمع بين عمق المعنى ودقة التصوير ووضوح التعبير دون الإخلال بالصورة البيانية التي تثير الضمير وتدفع العقل إلى النظر والاعتبار والإقناع .
- ٧ - سلك القرآن في مجادلاته سياسة جدلية بيانية يعالج فيها أوضاع الخصوم بما يتلاءم مع أحوالهم حتى تكون المواجهة هادئة لينة .
- ٨ - توسع القرآن في جدله مع اليهود لأنهم كانوا يقرون بكتاب ويؤمنون برسول فكان النبي صلى الله عليه وسلم يلزمهم بما جاء في كتبهم وكانوا لعلمهم بالكتاب يوجهون أسئلة تنسم بالدقة والمعرفة .
- ٩ - ناقش القرآن اليهود وأبطل مزاعمهم في قضية الألوهية وأنكر عليهم نظرهم للرسول وموقفهم من تحريف الكتب واختلافهم فيها كما أنكر عليه موقفهم من لقضايا الأخرى .

١٠ - أنكر القرآن الكريم على النصاي قولهم بتأليه المسيح وأمه وانتهى إلى نتيجة هامة هي بشرية المسيح وأنه ليس إلهًا ولا جزء إله كما أبطل عقيدة التثليث وبنوة المسيح .

١١ - للجدل القرآني أثر في نفوس أهل الكتاب تمثل في إيقاد نار الحقد والبغضاء في صدورهم بما ينعكس على تصرفاتهم بالكيد للإسلام والمسلمين .

أهم مراجع البحث

- ١- القرآن الكريم
- ٢- ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر: ط عيسى البابي الحلبي.
- ٣- ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل. ط دار الكتب الوطنية بالقاهرة سنة ١٩٧١ م
- ٤- ابن تيمية الرد على المنطقيين تحقيق د/ محمد عبد الستار نصار وزميله، نشر مكتبة الأزهر ١٩٧٧ م.
- ٥- ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ط المكتبة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ.
- ٦- ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل: مطبعة المثنى بغداد.
- ٧- ابن الحنبلي: كتاب استخراج الجدل من القرآن الكريم تحقيق د/ زاهر الألمعي ط أولى مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٩٨٠ م.
- ٨- ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨١ م
- ٩- ابن القيم: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ط مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.
- ١٠- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ط المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة
- ١١- ابن كثير: السيرة النبوية ط عيسى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٨٤ هـ.
- ١٢- ابن هشام: السيرة النبوية ط مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٧٥ هـ.
- ١٣- د/ أبو الفتح البيانوني: المدخل إلى علم الدعوة مؤسسة الرسالة بيروت ط أولى سنة ١٩٨١ م.
- ١٤- د/ أحمد غلوش: الدعوة الإسلامية دار الكتاب المصري / اللبناني سنة ١٩٧٨ م
- ١٥- د/ أحمد الطيب: أسس الجدل عند الأشعرى عدد ٤ حولية كلية أصول الدين بالقاهرة ١٩٨٧ م.
- ١٦- الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ط المنيرية بالقاهرة.
- ١٧- د/ زاهر الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم مطابع الفرزدق التجارية بيروت

- ١٨ - الزمخشري : الكشف . ط مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة
- ١٩ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ط طهران سنة ١٣٧٧ هـ .
- ٢٠ - الشهرستاني : الملل والنحل . ط مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة
- ٢١ - الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن . ط دار المعارف بالقاهرة
- ٢٢ - عبد الرحمن حبنكة الميداني . مكاييد يهودية عبر التاريخ دار القلم بيروت ط ثانية ١٩٧٨ م .
- ٢٣ - الغزالي : إحياء علوم الدين ، طبع ونشر مكتبة صبيح وأولاده
- ٢٤ - الفخر الرازي : مفاتيح الغيب . ط الهيئة المصرية بالقاهرة
- ٢٥ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ط دار الكتب الوطنية بالقاهرة
- ٢٦ - محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل . ط ثانية دار الفكر العربي سنة ١٩٨٠ م .
- ٢٧ - محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى القرآن . ط دار الفكر العربي سنة ١٩٧٧ م .
- ٢٨ - د/ محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم ، ط السعادة بالقاهرة سنة ١٣٨٩ هـ .
- ٢٩ - د/ محمد عبد الستار نصار : العقيدة الإسلامية ، ط ثانية دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٩ م .